


2

# منف

## مدينة الأوائل

بقلم :

بسام الشماع

دار المعارف

تأسست ١٨٩٠







# منف
# «مدينة الأوائل»

بقلم :
بسام الشماع



تصميم الغلاف

شريف رضا

تنفيذ المتن والغلاف

بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات

دار المعارف

---

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع .
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

## مقدمة

فى تاريخ الأمم والحضاراتِ توجدُ مدنٌ ومواقعُ يعتبرُها المؤرخونَ هىَ الأهمَ والأكثـرَ تأثيراً فى تســطيرِ فصولِ تاريخ تلكَ البلاد. وفــى تاريخ مصرَ العديدُ منَ هذهِ المدنِ التى كانتْ نقطة الارتكاز التِى انطلقتْ من قلبِها أولُ شرارةِ ضوءٍ تنيرُ الدروبَ التاريخيَّة.

«منفُ» هىَ أولُ تلكَ المدنِ، فمنهَا انبثقتْ أشعةُ الحضارةِ التَّليدة وبقىَ ذلكَ النبراسُ منيرًا بضوءِ العلم والحكمةِ والفنونِ لمدة طويلةٍ حتَّى إنَّه من الممكنِ أنَ نقولَ إنَّ مدينةَ «منف» اَستمرتْ فى لعبِ دوْرهَا السياسىِّ والإدارىِّ والدينىِّ علَى مدارِ السنينَ حتَّى فِى زمنِ البطالمةِ الإغريقِ والرومانِ.



تمثال أبى الهول ينتصف «منف»



مـن هنَا جاءتْ أهميـةُ هذَا الكتابِ المختصرِ لتاريخ وآثـارِ منف لعلّه يكوُن الحافزَ القوىَ للقَارئ لكَى يزورَ آثارَ منف الموجودةَ حالياً بالجيزةِ.

دعونِى أصطَحبكم فى رحلةٍ عبرَ الزمنِ، أرجعُ فيهَا بكم لعام ٣١٠٠ قبلَ الميلادِ تقريباً لنتعـرفَ علَى تاريخِ مدينةٍ محوريَّة وهامةٍ فى تاريخ الحضَارات كلها. لقدْ تعلّمَ العالمُ بأسـرهِ من حضَارة «منف» التى شيدتْها السـواعدُ المصريَّةُ ونحتَتْ معالمَها الأناملُ النشيطةُ وأرستْ قواعدَها عقولُ المصريينَ الأوائل. «منف» هىَ مدينةُ الأوائلِ. اشْحذوا الهممَ وجهْزوا القراطيسَ وارتدوا رداءَ التاريخِ وامتطوا معى صهوةَ جوَاد الزمنِ ولنرتحلْ إلىَ حيثُ العصْر الذَهبى لعصِر الأسرَات، عصرِ المدينةِ الجميلةِ: «منف».

### تعريفُ منْف:

«منْـف» هىَ مـنْ أولِ العواصم لمصرَ المُوحَّدَةِ. بعـدَ أنْ وحّد الملك «مينا» أو «نعر- مر» (نارمر) القطريْنَ، الشَـمالىَّ والجنوبىَّ (القبلىَّ والبحرىَّ) تم تشييدُ عاصمةٍ لإدارة شئونِ البلادِ فكانتْ «منْف». أهمَ مدينةٍ فى كلِّ البلادِ وذلكَ لاحتَوائها علىَ القَصرِ الملكىِّ وأسـوَارِ الحماية والمَكاتب الإداريَّةِ وأمَاكن الوزراءِ والمعَابد الدينيةِ التى يُمارَسُ فيهَا الطقوسُ والشَّعائرُ.

### موقعُ منْف الجغرافىُ:

الموقعُ الذى يزورُه الآنَ ملايينَ السَّائحينَ يقعُ اليومَ بجانبِ قريةِ «ميت رَهينَة» البدرشـيْن بالجِيزة. يَحدها منَ الشَّـمال منطقةُ سـقارةِ وأبو صير، ومنَ الجنوبِ دهشـورُ والعياطُ. فى المَاضى اعتُبرتْ «منفُ» هىَ الحدَ الفاصلَ بينَ مصرَ العليَا ومصرَ الدُّنيا. تبعدُ الآنَ حوَالى ٢٠ كم جنوبَ القاهرةِ، ومنَ السَّـهل الوصولُ إليهَا لتوافرِ سُبل المواصلاتِ والطُّرق المُمَهدة.

## تاريخُ منْف كعاصمةٍ :

اختلفــتْ أهميةُ «منْــف» كعاصمة أو مدينة إداريَّة محوريَّــة باختلاف الأحوالِ السَّياسية والقرارات الملكيَّة الحاكمة. وقدَ كانتْ فى أوْج تألقها فى وقتَ تشييدها فى حوَالى ٣١٠٠ قبلَ الميلاد. والعجيبُ فى الأمرِ أنَّ جذوَة «منْف» كشُعلة حضاريَّة لـمْ تخبُ حتَّى عندمَا تحولتْ بوصلــةُ اهتمام حكام مصرَ عبــر تاريخهَا إلىَ مدن أخرىَ. فعندمَا انتقلَ الاهتمامُ فى العصورِ المتَعاقبةِ إلىَ مدينةِ «إهناسيا المدينةِ» أو «الفيوم» أو «الكَاب» أو «أفارِيس» فى عصرِ حُكم الهكْسوس أو «طيبةِ» (الأقصُر) أو «الإســكَندريَّة»، ظلــتْ «منْف» فى قلب الأحداَث. وبقيتْ «منْف» هىَ الأهمَ سياســيًّا وإداريًّا لأطوَل مدة زمنيةٍ إلَّا قليلاً حتَّى تأســيسَ مدينةِ الفسطَاط فى عام ٦٤١ م كأولِ عاصمةٍ إسلاميَّةٍ لمصرَ على يدِ القائد المُسلم «عمرو بن العاص».

## أسماءُ «منْف» عبرَ العصورِ :



اسم «نعر – مر» (نارمر) مختوماً على الطين

أُطلق علَى هذهِ المدينةِ الهَامة عدةُ أسمَاء على مدارِ تاريخِها المديدِ. من ضمنِ هذهِ الأسمَاء الآتى:

١ - «إينيب - حيدج»، أو الأسْوار البيضَاء وذلكَ لأنَّها كانتْ بهَا أسوارُ شُيدتْ فِى عصرِ التَّأسيس الأوَّل علَى يدِ الملكِ «نارمر» موحِّد القطريْن. وقد طُليتْ الأسوارَ بطلاء لونُه أبيضُ ممَّا جعلهَا تُعرف باسم الأسوارِ البيضَاء أو الحَوائط. كانَ هذَا إبَّانَ زمنِ الأسرةِ الأولَى فى حوَالى ٣١٠٠ قبلَ الميلاد.

٢ - «من - نفر»، وهىَ أيضاً تسميةٌ قديمةٌ ترجعُ إلى عصرِ أسراتِ الدوَّلة القديمة. وقد فَسَّرَ معنَى التسميَّة العديدُ من المؤرخينَ، فمنهُم من أكدَ أنَّ «من - نفر» هوَ اسمٌ لهرم شُيِّد للملكِ «ببى الأول» الذى حكمَ من عام ٢٢٨٩ إلى عام ٢١٥٢ قبلَ الميلادِ إبَّان زمنِ الأسرةِ السَّادسة (من ٢٣٢٣ إلى ٢١٥٠ قبلَ الميلادِ). وقد تأثرَ الناسُ بهذَا الهرم وجماله فقرَّروا أنْ يُطلقوا اسمَه على المكانِ. ومجموعةٌ أخرىَ من المحللينَ وعلمَاء الآثارِ يقولونَ إنَّ «من - نفر» كلمتانِ هيروغليفيتانِ معناهُما: «الميناءُ الجميلُ» وذلكَ إشارةٌ لوجودِ ميْناء مائىٍّ علَى نهرِ النيلِ فى «منف»، كلمةُ «من» تعْنى أيضاً «بقىَ، دائمٌ، ثابتٌ، راسخٌ». و «نفر» معناهَا جمالٌ، إذن منَ الممكنِ أن يكونَ معنَى اسمِ العاصمةِ: «الجمالُ الدائمُ».

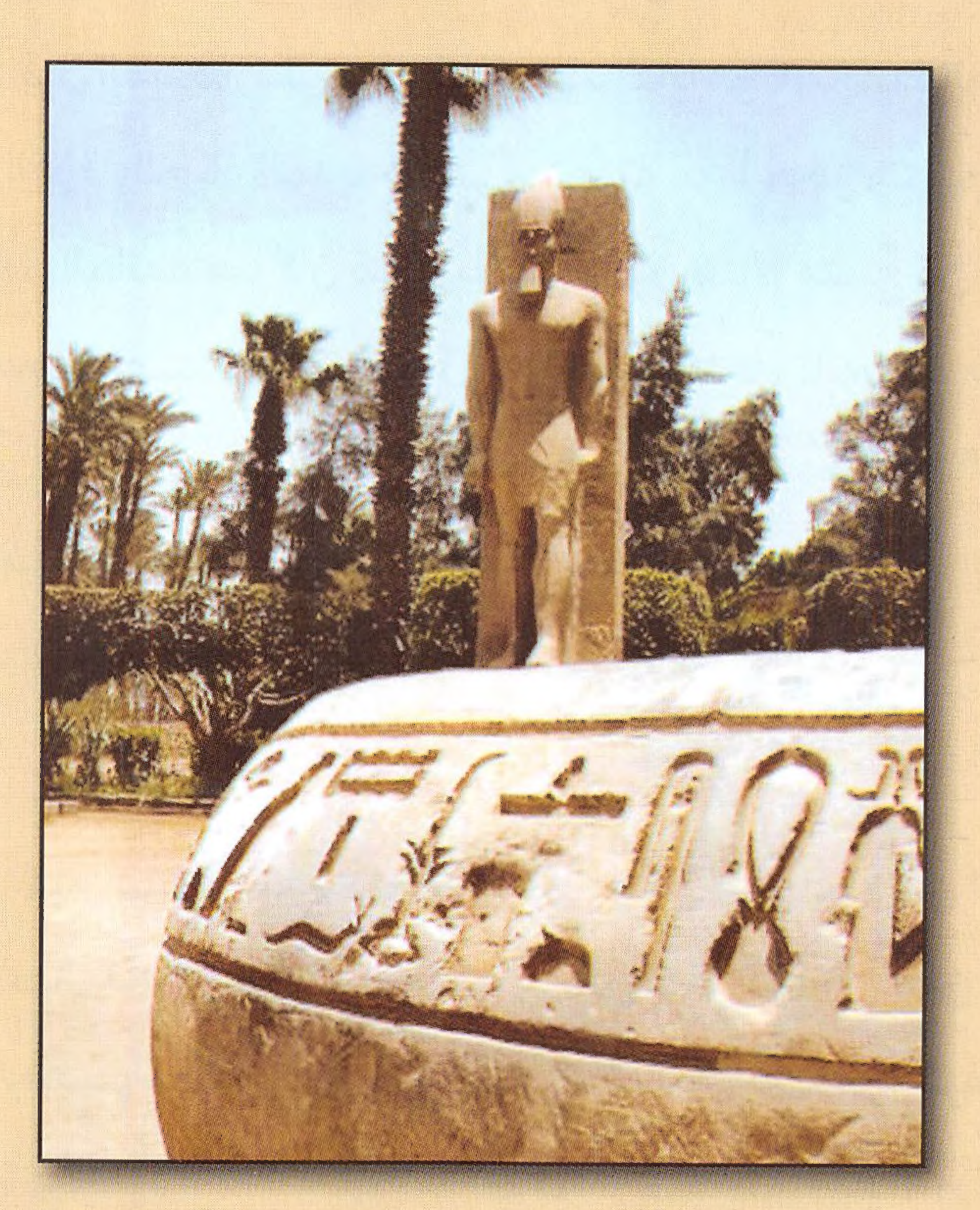
٣ - «عنخ - تاوى» أو «التى تربطُ الأرضيْن»، إشارةٌ لوجودِها علَى حدودِ مصرَ العُليا والدُّنيا وكونِها العاصمةَ التى حكمتْ القطرينِ بعدَ توحيدِهما. «تا» كلمةٌ هيروغليفيةٌ معناهَا «أرضٌ» ولفظ «وى» هىَ للمُثنى و «عنخ» فى معناهَا الأصلىِّ هى «الحياةُ» و «الكينونةُ»، وهنَا هى بمعنَى الرَّبط والاتحادِ.

٤ - «حى - كا - بتاح» هو الاسمُ الذى ذكرَه المؤرخُ «مَانيتون السَّمنودى» (من مدينةِ سمنود بمصرَ). وقدْ تُرجمتْ تلكَ الكلماتُ للعربيَّة ومعناهَا «مكانُ قَرين بتاح»، وبتاحُ هوَ ربُّ «منف» والعمالِ والفنانينَ وذَوى المهاراتِ اليدويَّة،

وهوَ أيضاً مِنْ مؤسِّسى الحياةِ والعَالم طبقاً للأسطورةِ المصريَّة القديمةِ. وعند دخولِ الإغرِيق اليونَان إلىَ مصرَ تم تحريفُ الكلمةِ إلىَ «أى - جى - بتوس». وفــى اللاتينيَّة أصبحتْ «إيجيبتوس» والتِى منهَا جاءَ اســمْ مصرَ فى الكتابةِ الإنجليزيَّة: «إيجيبت».

٥ - «ممفيس» هوَ الاسمُ اليونانىُّ للمكانِ وهوَ الاسمُ الأكثرُ تَداولاً الآنَ بينَ أصحابِ اللسانِ الأجنبىِّ (مثل الإنجليزيَّة والفرنسيَّة والإيطاليَّة وغيرِها). وقد تأثرَ أكثرُ من بلدٍ فى العصورِ الحديثةِ بهذَا الاسم فأطلقوه علَى مدنٍ كثيرةٍ لديْهم مثل (ممفيس تيناسى بالولاياتِ المتحدةِ الأَمريكيَّة).

## آثارُ منْف :



رموز هيروغليفية منحوتة على قاعدة حجرية وفى الخلفية تمثال مُرَمَّمْ لرمسيس الثانى

عَلَــى الرَّغم من الدَّمار الذى لحقَ بالعاصمة الفرعونيَّة «منف» واختفاء الكثير منْ مبَانيها ومعَابدها وآثارها تحتَ الرِّمال والطَّمى والأراضِى الزراعيَّة الآن، إلَّا أنَّ الزائرَ لِمنف الآنَ يســتمتعُ بالعديدِ منَ الآثارِ التى تم الكشــفُ عنهَا سواءٌ أكانتْ تلــكَ التى وُجدت فى مكانِ المدينةِ القديمــةِ أو المقَابر والمصَاطب والأهراماتِ الموجودَة فِى جبانةِ «منف» المُسماة سقَّارة.

## زيارةٌ سياحيَّةٌ لمنْف :

قبلَ الدخولِ إلى منطقةِ «منْف» التى يُحيطها الآنَ ســورٌ حديثٌ منَ الممكنِ للزائرِ أن ينظرَ إلى يمينِه ليرىَ أطلالَ معبدٍ من زمنِ الدولةِ الحديثةِ (من عام ١٥٥٠ إلى عام ١٠٧٠ قبلَ الميلادِ). علَى يسارِ الزائرِ نجدُ بقايَا موَائد تحنيطِ العجلِ المُقدَّس «أبيس»، رمزِ القوةِ والحيَاة المديدةِ وهىَ منحوتةٌ من الحجرِ وتتَّسم بالاتِّساع فى المساحةِ. وطولِ المَائدة هنَا كانَ ضروريًّا لكى يكونَ هناكَ متسعٌ منَ المكانِ لعملِ المحنطِينَ للعجلِ. بعــدَ تحنيطِ العجلِ كانَ يوضعُ داخلَ تابوتٍ ضخم وثقيلٍ منَ الحجــرِ القوىِّ المنحوتِ، ويتمُ دفنُه تحتَ الأرضِ فى غرفٍ كبيرةٍ عاليةِ الأســقُف تَشرفُ علىَ دهليزٍ طويلٍ واسع. تُسمى هذهِ المدافنُ العجيبةُ «السرابيوم» وقدْ تم اكتشافُها فى منطقةِ سقَّارة الأثريَّة.

## والآنَ حانَ الوقتُ لدخولِ المنطقةِ الأثريَّةِ السياحيَّة :

علَى يمينِ الزائرِ ســوفَ يجدُ مُتحفًا حديثًا يحتَوى علَى عددٍ منَ القطعِ الأثريَّة مثلِ جزءٍ من تمثالٍ لـ «بس» الرَّبِّ الأسطورىِّ علَى شكلِ قزمٍ ذى بطنٍ كبيرٍ، ومائدةٍ للقرَابين منَ الحجرِ ولوحاتٍ حجريةٍ منقوشٍ عليهَا نصوصٌ هيروغليفيةٌ. شُيدَ هذا المتحفُ ليحتوىَ تمثالاً عملاقًا للملكِ رمسيس الثَّانى الذى حكَم مصرَ زُهاء ٦٧ عاماً إبَّان الأسرةِ التَّاسعة عشرةَ.



تمثال رمسيس الثانى العملاق

يصــلُ ارتفاعُ التمثالِ حوَالى عشــرةِ أمتارٍ رغمَ عدمِ وجــودِ جزءٍ كَبير منَ الأرجلِ! ربَّما تكونُ قد انفصلتْ عن التِّمثالِ بفعلِ فاعلٍ أَو فُقدتْ بفعلِ عوَامل طبيعيةٍ مثلِ المياهِ الجوفيَّة والرطوبةِ وغيرهَا من العوَامل المؤثرة.

ويعتقد العلماءُ المؤرخــون أنَّ التمثالَ كانَ يقفُ فى زمنِ الملكِ فى معبدٍ للربِّ الأســطوريِّ «بتاح» وذلكَ لأنَّه قد كُشــف عنه بجانــبِ البوابةِ الجنوبيَّة للمعبدِ المُهدَّم الآنَ، تم اكتشافُ التِّمثال العملاقِ المنحوتِ من الحجرِ الجيرىِّ فــى عام ١٨٢٠ م علَــى يدِ الرَّحالة الإيطالــىِّ «كافيجليــا». الآنَ التمثالُ ملقَى علَى ظهرهِ داخــلَ مُتحفٍ حديثٍ، وهوَ منحــوتٌ بطريقــةٍ دقيقــةٍ تُظْهرُ ملامحَ وجهِ الملكِ الشَّــاب وهوَ يرتدى التيجَان الملكيَّة. تنتصــفُ الجبهةَ حيَّةٌ كوبرَا حجريةٌ لغرضِ الحمايةِ الرمزيَّة. الملكُ يرتدِى غطاءَ الرَّأس المُســمى «نيميس» ويضعُ الذقنَ المُستعارَ وهوَ أحدُ الرموزِ الملكيَّة. يضعُ الملكُ خنجرًا فى حزامِه

الملتف حولَ خصرِه أعلَى تنورةِ «الشيـنديت» (اسـم التنورةِ بالهيروغليفيَّة). التمثالُ ملىءٌ بنقوشِ أسـمَاء وألقابِ الملكِ داخلَ خَراطيش ملكيةٍ (الخرطوشُ هوَ الشـكلُ البيضاوىُّ الذى يحْوى اسـمَ الملكِ). منْ ضمنِ ألقابِ الملكِ لقبُ: «أوسـر - ماعت - رع سـتب - أن - رع» ونلاحظُ وجودَ كلمةِ ماعت ومعناهَا العدالـةُ والنظامُ. يظهرُ من بقايَا الأرجلِ (الأرجلُ الموجودةُ تَصل حتَّى أسـفلَ الركبتينِ، بعدَ ذلكَ، باقى الأرجلِ مفقودةٌ) أنَّ التقدمَ كانَ بالرِّجلِ اليسرىَ وهذَا للأسبابِ الآتيةِ :

١ - اليسـارُ كانَ رمـزاً للاتجاهِ صوبَ الغرب، وفـى الأفقِ الغربىِّ تغربُ وتختفِى الشَّـمس، وقد اعتقدَ المصرىُّ القديمُ أنَّ الإنسـانَ سـوفَ يَغْربُ هوَ الآخَر مثلَ الشـمسِ، ولذلكَ فكلُنا كبشرٍ سوفَ نرحلُ عنْ هذهِ الدنيَـا ونذهبُ إلىَ أفقٍ آخرَ، ألاَ وهوَ الأفقُ الغربىُّ. إذنْ، كلُّنا نتقدمُ بأقدامِنا إلىَ الغروبِ إلى جهةِ اليسـارِ ولذلكَ نتقدمُ بالرِّجلِ اليسرىَ.

٢ - اعتقدَ المصرىُّ القديمُ أنَّ التقدمَ هكَذا سوفُ يُبْقِى علَى التمثالِ متزنًا، فَلا يسقطُ ولا يتحطمُ.

٣ - كانَ المصـرىُّ هـوَ أولَ مـن ابتكرَ الخطوةَ العسـكريَّة البادئةَ بالتقدم بالرِّجلِ اليسـرىَ، وهىَ الفكرةُ التـى اتبعتْها كلُّ الأممَ وجيوشِ الـدولِ فى العصورِ الحديثةِ، فنجـدُ دائماً قائدَ الفرقِ والفيالقِ وهوَ يوجهِ كلامهَ لأفرادِ فرقتِه العسكريَّة قائلاً: «شمال يمين .. شمال يمين». سببُ تقدم التمثالِ هنَا هوَ إظهارُ الملكِ بشخصيتهِ العسكريَّة الشجاعةِ المِقْدامة أمامَ الأربابِ والرباتِ فِى الحياةِ الأخرَى.




السقالات تحيط بتمثال رمسيس من كل ناحية

## تمثالُ رمسيسَ الثَّانى الجرانيتىُ:

تَم اكتشافُ تمثالٍ آخَر لرمسيسَ الثَّانى فى «منْف». وتمَ نقْله من مِيت رهينةِ إلىِ ميدانِ بابِ الحديد أمامَ محطةِ القطارِ الرئيسيَّة فى عام ١٩٥٤. وُضعَ التمثالُ فى وسطِ الميدانِ بدَلاً من تمثالٍ حديثٍ بديع كانَ فِى الأصلِ موجُودًا فِى الميدانِ ألاَّ وهوَ تمثالُ «نهضةُ مصرَ» للنَّحات المصرىِّ العالمىِّ «محمود مختار». وقد اُختيرَ لتمثــالِ نهضةِ مصرَ مكانُ آخر وهوَ أمامَ شــارعِ جامعةِ القَاهرة وكوبرى الجامعةِ وبوابةِ حديقةِ الحيوَان بالجيزَة، وهوَ مكانُه المعروفُ اليَومَ. عانَى تمثالُ رمسيس

الثَّانى من التلوثِ والعوَامل الجويَّة فتمَ نقلُه إلىَ الجيزةِ إيذاناً بوضعِه فِى المُتحفِ المصرىِّ الكبيرِ الجديدِ.



تمثال رمسيس واقف على كسَّاحة داخل مبنى فى
انتظار المتحف الجديد بجوارميدان الرماية بالجيزة

## مَن هو كافيجليا؟

هــوَ «جيوفانى باتســيتا كافيجليا» المولودُ فى عــامِ ١٧٧٠ ميلاديَّة فى مدينةِ «جُنوة». كانَ يعملُ بحاراً وكَابتن بالبحرِ المتوســطِ وكانَ مركزُه فى جزيرةِ مالطَة.



طلبَ منهُ «هنرى سولت» التنقيبَ فى منْف والجيزةِ ومن بعدَه بعدةِ سنواتٍ طلبَ منهُ نفسَ الطَّلب الكولونيلُ هوارد فايس (وهوَ المشهورُ باستخدامِ الدِّيناميت فى الكشفِ عنِ الآثار، وهىَ طريقةٌ مرفوضةٌ وخاطئةُ أدتْ إلىَ دمارِ وتحطيمِ عددٍ من آثارنَا القيمةِ).

## لمَاذا لمْ يُنقلْ التمثالَ لإنجلترا؟

هوَ بالتأكيدِ خبرٌ تاريخىٌّ سـعيدٌ، لأنَّ الإنجليزَ خشوْا نقلَه للمتحفِ البريطانىِّ بلندَن الفعلُ الذى كانَ من شـأنه إغضابُ الفرنسيينَ فِى ذلكَ الوقتِ. وقدْ تحجَّج البعضُ بأنَّ تكلفةَ النقلِ العَالية هىَ السببُ، وعدمُ وجودِ الطريقةِ المُثلى لنقله أيضاً انضمتْ إلىَ قائمةِ الأسبابِ. نحنُ بدورِنا سعداءٌ لكلِّ أوْ واحدٍ منَ هذهِ الأسبَاب التى أبقتْ تمثالَ ملك مصرَ بميت رهينة. وقدْ كتبَ «فريدريك فيرهولت» غاضباً: «منذُ سـنواتٍ ماضيةٍ وُهب هذَا التمثالُ لإنجلترَا، ولكن الحكومةَ (يقصدْ هنَا الحكومةَ الإنجليزيَّة) التى ضيعتْ بسـعادة ٢١,٠٠٠ ألفَ جنيه إسترلينىٍّ فى محاولةٍ لصُنع ساعةٍ (يقصدُ هنَا ساعةَ «بيج - بن» الشهيرةَ بلندَن) تَدقُ فى ويست مينيستر (اسم الحىِّ اللندَنى الشَّهير)، لمْ تكنْ بالثَّراء الكَافى (يقولُها هنَا ساخراً) لحملِ أى هديةٍ مهمةٍ منْ مصرَ».

## تمثال أبى الهول بمنف:

هـوَ ثانى أكبـرَ تمثالٍ لأبـى الهولِ فى مصـرَ بعدَ التمثـالِ المنحوتِ من الحجـرِ الأم بجَانب أهراماتِ الجيزةِ الشَّـهيرة. تم اكتشـافُه فى عـام ١٩١٢ م علَـى يد عالَم الآثارِ الإنجليزىِّ «فيليندر بترى». يصلُ ارتفاعُ الجسـدِ الأسـدىِّ ورأسِ الإنسَانَ - وهوَ الخليطُ الآدمىُّ والحيَوانى الذى انبثقتْ منْه فكرةُ تمثالِ أبى الهولِ - إلىَ ٤ أمتارٍ، وطولُه يصلُ إلى ٨ أمتارٍ، أمَّا عن وزنِ التمثالِ الضَّخم



لا نقوش على جسد أبى الهول.. وفى الخلفية متحف رمسيس وآثار منف

فيبلغُ حوَالى ٩٠ طنًا.

أبو الهولِ بِمنف منحوتٌ منَ الحجرِ الألبَاستر (ويُسمى أيضاً حجرُ الكالسيت) وهوَ الحجرُ الذى لمْ يَبْنِ بهِ أو يَنحتْ منهُ المصرىُّ القدِيم تماثيلَ كبيرةً كثيرةً ممَّـــا يجعلُ هذَا الأثرَ هنَا فــى ميت رهينة (منف) مُتفــرداً ومُتميزاً بلْ ونادرَ الوجودِ.

للأســفِ، لا يوجدُ أى نقوشٍ هيروغليفيَّة لنصوصٍ أو أسمَاء تدُلنا علَى صاحبِ التَّمثال أو زمنِه، ولذَا بدأ المؤرخونَ فى التنظيرِ (عَرض النظرياتِ والأفكَار المختلفةَ القائمة علَى تجميعِ المعلوماتِ والملابساتِ التاريخيَّة المحيطةِ بالتَّمثال) فمنهُم من قالَ إنَّه منْ عصْرِ «حاتشبســوت»، والآخرُ يقترحُ اسمَ «أمونحوتب الثَّانى» أو «أمونحوتــب الثالــثِ» كأصَحاب للتمثالِ الرابضِ. حجرُ الكَالســيت كانَ يَأتى منْ محَاجر بجانبِ «تلِّ العمارنةِ» بمحافظةِ المنيَا تُسمى بالهيروغليفيةِ «حات نوب». وهوَ حجرٌ أشبهُ بالرخامِ.

## معبدُ بتَاح :

تمَ دراستُه منْ قِبَلِ العَالِم «بترى» قبلَ الحربِ العالميَّة الأولىَ. و «بتاح» هوَ ربُّ «منف» الأسطوريُّ. وقد استَمرتْ عبادتُه لمدةٍ طويلة. وقدْ كانَ محْبوباً من الجميعِ إلىَ حدِ أنَّ المصرىَّ القديمَ قدْ وضعَ اســمَه فى أسـمَاء البشرِ، فنجدُ شخصياتٍ مصريَّة قديمةٍ اسمُها «بتاح - حتب» ومعناهُ «بتاحُ فى سلامِ» أو «سلامُ بتَاح».



الملك يتوسط الرب «بتاح (يسار الصورة) و «سيخميت» (يمين الصورة)
حديقة المتحف المصرى

وفِى «منْف» يوجدُ تمثالٌ منحوتٌ من الجَرانيت لثالوثِ «منف» وعلَى رأسِهم «بتاح» ربُّ العمالِ. وطبقاً للأسطورةِ فقدْ خلقَ «بتاح - تا - تجينين» (وهوَ تشخيصُ الأرضِ التى تخرجُ من الكارثةِ حسْب الاعتقادِ الدينىِّ الأسطورىِّ) العالمَ عنْ طريقِ الفكـرِ والقلبِ والكلمةِ، بمعنىَ أن الكلمةَ خرجتْ بالفكرةِ منَ القلبِ لتبدأ الحيَاة وتَكون الكونُ حسْب الاعتقادِ الأسطورىِّ القديمِ.



«سيخميت» أنثى الأسد وزوجة «بتاح» رب منف الأسطورى

تشـــتركُ معهَ فى الثَّالوث المنفىِّ المقدَّس، الرَّبَّةُ «ســـيخميت» وهىَ أنثى الأســـدِ الحَامية، وزوجةُ بتاح، وهىَ شخصيَّة شرسةٌ وقويةٌ وكانتْ سوفَ تدمرُ البشريةَ كلَّها فى القصةِ الأسطوريَّة «هلاكُ البشريَّة» عندمَا سَخروا منْ «رع» ربِّ الشـــمسِ. ومنْ صفاتِها أنَّها مرعبةٌ ومخيفةٌ وتحاربُ دائماً الأشرارَ وأعداءَ «رع» الشَّـــمسِ. وثالثُ شـــخصيَّة هىَ ابنُ «بتاح» و «ســـيخميت» المســـمى «نفرتـــوم» ويظهرُ علَى هيئةِ رَجُلٍ تعلُو رأسَـــه زهرةُ اللوتـــسِ الجميلةِ والتى اســـتخرجَ منهَا المصرىُّ القديْم نوعًا من العطـــرِ ذى الرائحةِ الطيبةِ ممَّا جعلَ «نفرتوم» الأسطورىَّ ربَّ العطورِ.

### أطلالُ قصر «أبريس» :

علَى الرَّغم من الدمارِ الذى لحقَ بهذَا القصرِ الملكىِّ إلاَّ أن الخطوطَ المحددةَ لشكلِ القصرِ القديم مازالتْ موجودةً وهىَ مَا ساعدتْ العالِمَ الأثرىَّ «بترى» فى اكتشافِ ودراسةِ القصرِ خلفَ قريةِ ميت رهينة.

### مَنْ هوَ الملكُ أبريس؟

يرجعُ أصلُ هذَا الملك إلى الأسـرةِ السَّـاوية (تُسمى الآنَ الصاويَّة) وهىَ التى كانَ مقرُّها الأصْلى مدينةَ «سَايس» (مدينةُ صا - الحجر الآنَ بالدِّلتا). اسمُه داخلَ الخرطـوشِ الملكىِّ هوَ «واح - إيب - رع»، وقدْ حكمتْ هذه الأسـرةُ بينَ عَامى ٦٦٤ و ٢٥٢ قبلَ الميلاد. وقد اختلفَ المؤرخونَ علَى مدةِ حُكْم «أبريس» ، فمنهُم من قال إنَّه حكمَ لمدةِ ٢٥ عاماً وآخرونَ قَالوا إنَّه حكمَ ٢٠ عَاماً. الأسـرةُ السَّاويةَ كانتْ أسرةً مجددةً وباعثةً للفنونِ المصريَّة القديمة، وقدْ نسخُوا النصوصَ القديمةَ وصنعوَا من اللوحاتِ المنقوشةَ مستنسخاتٍ طبقَ الأصلِ ورمَّموا الآثارَ فحفظوهَا مـنَ الزَّوال. ولقدْ كانَ لهـذهِ الأفعَال الطَّيبةِ الأثرُ الإيجابـىُّ الكبيرُ علَى الحضارةِ المصريةِ القديمة. قالَ عنه المؤرخُ المصرىُّ الجهبذُ «سـليم حسن»: «والواقعُ أن تَولِّى «أبريس» مهامَ الحُكْم كانَ يعدُ نقطةَ تحولٍ فاصلةٍ فِى تاريخِ مصرَ السياسىِّ فى الخارجِ». وذلكَ لأنَّه كانَ قائدًا لجيشٍ ضخْم وقواتٍ بحريَّة عاليةِ الكفاءةِ.

### مَا هوَ قصرُ «أبريس»؟

منْ بقايَا هذَا المبنىَ المَنيف ومن اتِّساع غرفِه وعددِ تيجَان الأعمدةِ وقواعِدها الباقيةِ نسـتطيعُ أن نجزمَ بفخامةِ وضخَامـة هذا القصرِ الملكىِّ. يقعُ فى الجانبِ الشَّمالى من مدينةِ «منف» العتيقَة وتبلغُ مساحتُه حوَالى فدانيْن. وهوَ يقعُ علَى هضبةٍ عَاليةٍ، وبهِ بواباتٌ وأسـوارٌ سَـميكةٌ وردهاتٌ وحجراتٌ للحراسةِ والمطبخِ والاستقبالِ والمعيشةِ، وصهاريجُ للميَاه.

بجانبِ تمثالِ ثالوثِ «منف» الآنَ يوجدُ لوحةٌ من عهدِ أبريس مليئةٌ بالعباراتِ والنصوصِ الهيروغليفيَّة.



مرسوم منف على لوحة رشيد

## مرسومُ منْف الشهير :

مرسومُ «منف» هوَ عبارةٌ عنْ بيانٍ سياسيٍّ ودينيٍّ سطَّره الكهنةُ فى ممفيس (منف باليونانيَّة). وهوَ يشرحُ كيفَ أن كهنةَ كلِّ معَابد الأرضِ (البيانُ يقصدُ بكلمةِ الأرضِ هنَا البلادَ المصريَّة) اجتمَعوا فِى «منف» لكى يقَابلوا الملكَ البطلمىَّ، محبوبَ الرَّبِّ بتاح فى عامِه التَّاسع. الملكُ اليونانىُّ الأصلُ المقصودُ هنَا هوَ «بطليموس الخَامس إبيبفانيس»، والاحتفالُ هنَا هوَ عيدُ مرورِ سنةٍ واحدةٍ علَى اعتلاءِ العرشِ. وقدْ ذكرَ نصُ المرسومِ أن تاريخَ العيدِ هَو ٢٧ من شَهر مَارس من عامِ ١٩٦ قبلَ الميلادِ.

البيانُ أيضاً يؤكدُ أن الملكَ قدْ ساعدَ المعَابد وكهنتَها فى تأسيسها وتزويدِها بالمالِ والذُّرة. ويستطردُ النصُّ فى سردِ كيفَ أن كرمَ الملكِ البطلميِّ كانَ كبيرًا عندمَا خفَّف فى حالاتٍ وألغىَ فى حالاتٍ أخرىَ الضرائبَ لكى يعيشَ الناسُ حيَاةً أكثرَ رغَداً ويتمتعُ الكهنةُ والشعبُ ببحبوحةٍ منَ العيشِ. وقدْ حرَّر الملكُ هؤلاءَ الذينَ كَانوا قد اتُهموا فى قضَايا وسُجنوا فى قضَايا أخرىَ. وفى البيانِ تأكيدٌ أيضاً علَى أن كهنةَ المعَابد قدْ أُعفوا منَ الضَّرائب التى كَانوا مُجبرينَ علَى دفعِها فى زمنِ حكم والدِ الملكِ المُتوفَّى.

نُقشَ هذَا المرسومُ الهامُ بلغتينِ همَا المصريَّة واليونانيَّة، أمَّا عَنِ المصريةِ فقدْ نُقشَ تارةً بالرموزِ والحروفِ الهيروغليفيَّة (كلماتُ الأربابِ الملكيةِ المقدسة)، وتارةً أخرىَ بالديموطيقيَّة (لغةُ العامة). هذه المنظومةُ اللغويَّةَ والبيانُ الرسميُّ والنقشُ المُوجَّه للمصريينَ واليونانيينَ علَى حدٍ سوَاء يُسمى الآنَ حجرُ رشيدُ !



تفصيل البيان الدينى السياسى الذى نقشه كهنة «منف»

وفِى آخر عبارة منقوشــةِ بلوحةِ (حجرِ) رشــيدٍ تقبعُ مفاجأةٌ تاريخيَّة ليسَ لهَا مثيلٌ. تقولُ العبارةُ: «البيانُ ســوفَ يكتبُ علَى لوحةٍ منَ الحجرِ الشَّــديد التَّحمل (استخدمَ النصُّ الأصلىُّ كلمةَ «جامد» أو «صلد») بالشَّخصياتِ (الرموز) المُقدَّسة (يقصدُ الكتابةَ الهيروغليفيَّة) وبالمحليَّة (يقصدُ هنَا الكتابةَ الديموطيقْيَّة الشعبيَّة العامةَ) واليونانيَّة، وتُوضعُ فى كلٍّ منَ المعَابد ذاتِ الفئاتِ الأولَى والثَّانية والثَّالثة بجانبِ منظرِ الملكِ العائشِ للأبد». هكذا تفجرُ لوحةُ رشيدٍ مفاجأةً مدويةَ بهذه العبَــارة التى تعْنى أنَّه يوجدُ أكثرُ من لوحةٍ أو حجــرٍ منقوشٍ بنفسِ البيانِ، إذنْ يوجدُ أكثرُ من حجرٍ (لوحة) رشيدٍ واحدة فى مصرنَا التَّليدة.

مرسومُ «منف» لعبَ أهَم دورٍ فِى تاريخِ دراسةِ علْم المصريَّات لأنَّه هوَ الذى عندمَا دُرســت وتم فكُّ طلاسمُه اســتطاعَ العالمُ فهمَ الحضَارة المصريَّة القديمةِ بطريقةٍ أعمَق وأصبحَ التاريخُ المصرىُّ الفرعونىُّ وغيرُه أكثرَ وضوحاً.

## منْ هوَ بطليموس الخامسُ صاحبُ مرسومِ منف؟

البطالمةُ أو البطالسةُ هم الحكامُ المنحدرونَ من أصلٍ مقدونىٍّ ويونانىٍّ، وقدْ حكَموا مصرَ من عام ٣٠٥ قبلَ الميلاد عندمَا اعتلَى عرشَ البلادِ الحاكمُ «بطليموس الأولُ، ســوتر المنقذُ» وحتىَّ عام ٣٠ قبــلَ الميلادِ. انتهى عصرُ البطَالمة فى مصرَ عندمَا ماتتْ الملكةُ كليوباترا الســابعةُ فى ١٢ أغسطس من عام ٣٠ قبلَ الميلاد. وبعــد موتها، حكمَ أولادُهــا لمدةِ ١٨ يوماً حُكمًا صوريًّا ثــم بدأتْ حقبةُ الحكم الرومانىِّ لمصرَ. الملكُ بطليموس الخامسُ صاحبُ مرسوم «منف» تبوأ عرشَ مصرَ فى ٨ ســبتمبر من عام ٢٠٤ قبلَ الميلادِ وتوفىَ فى السَّــادس من أكتوبرِ عام ١٨٠ قبلَ الميلادِ، أىْ حكمَ البلادَ زهاءَ أربعةٍ وعشرين عاماً.

اعتلَى العرشَ وهوَ فى الثَّامنة من عمرِه. تزوجَ من كليوباترا الأولَى (وهىَ ليستْ الملكةَ كليوباترا السابعةَ المشْهورة).

كان لديه ابنان وابنة. شارك فى تأسيس مدينة الإسكندرية التى توفى الإسكندر الأكبر قبل أن يراها.

### قالوا عن «منف»[1]:

١ - «هىَ أولُ مدينةٍ عُمِّرتْ بأرضِ مصرَ بعدَ الطوفانِ»، المقريزىّ.

٢ - «لهــا ســبعونَ باباً من حديــدٍ.. فيهَا كانتِ الأنهارُ تَجرى من تحتِ ســريرِ الملكِ». ابن خرداذبة فى كتابِ: «المسَالك والممالك». وذلكَ كما جَاء فى التنزيلِ العزيزِ علَى لسانِ فرعون «أليس لى ملكُ مصرَ وهذِه الأنهارُ تَجرى منْ تحتِى».



النيل تحرك فجعل منف على بره الغربى (صورة للنيل بأسوان)

(١) رغم أن الكثير من الأقوال غير مستندة على دلائل مادية وإثباتات قوية إلا أنه من المفيد معرفة ما قاله المؤرخون. المؤلف لا ينفى ولا يؤكد هذه المقولات.

٣ - يؤكدُ تقيُّ الدِّين المقريزيُّ فى كتابِه: «المواعظُ والاعتبارُ بذكرِ الخططُ والآثارِ» المعـروفِ بالخطـطِ المقريزيَّة أنَ مدينةَ «منف» كانتْ بهَا قناطرُ وجسـورٌ بتدبيـرٍ وتقديـرٍ، حتىَّ أنَّ الماءَ ليجرِى تحتَ منَازلها وأفنيتها. وإذا صحتْ هذه المقولةُ نكونَ قد وصلْنا إلى حقيقةِ النظريةِ القائلة بأنَّ النهرَ قد تحركَ تاركاً مجـراه الأصلىَّ، فجعلَ «منف» على برِّه الغربىِّ بدلاً من مكانهِا الأصلىِّ بالبرِّ الشرقىِّ (كعادةِ موَاقع المدنِ فى مصرَ القديمةِ).



لوحة «نعر – مر» (نارمر) المنتصر وأمامه الرب الصقر – المتحف المصرى



ظاهرةُ تحركِ النّهر لنْ تحدثَ فى يوم وليلة، ولكنّها سـوفَ تأخذْ الكثيرَ من الوقتِ حتّى يعبرَ المدينة كلّها. إذنْ كَانَ هنَاك زمنٌ عندمَا كانتْ أرض «منف» مغطـاةً ومغمورةً بمياهِ النِّيل. تُرى، هلْ كانتْ هذه الفترةُ هىَ التى يذكُرها المقريزىُّ فى كتابه ؟

٤ - ذكرَ المقريزىُّ أيضاً أن مسـاحةَ «منف» كانتْ ثلاثينَ ميلاً طُولاً فى عشـرينَ ميلاً عرْضاً.

٥ - قالَ أميةُ بنُ عبدِ العزيز الأندلسىُّ: «وكانتْ دارُ الملكِ بمصرَ فى قديمِ الدَّهر مدينةُ مَنف».

٦ - ويحدُّثنا العلاَمةُ الجهبذُ المصرىُّ: «سـليم حسـن» عـنِ احتفاليَّة ملكيَّة فى «منف» حيثُ كانَ الملكْ يلفُ حولَ سـورِ المدينةِ وهـوَ بذلكَ يُحيِّى ذكرىَ انتصارِ الجنوبِ علَى الشَّمال واتِّحاد البلاد.

٧ - فى ٢ أكتوبر ١٨٢٨ م بعَث العالمُ الفرنسىُّ «شامبليون» برسالةٍ منْ مصرَ إلى فيجاك بفرنسَـا يذكرُ فيها أن منف قد شُيدتْ بأحجارٍ قطعهَا العاملُ المصرىُّ القديمُ من محَاجر تمتدُ بينَ «طره» وحتَّى مَا وراءِ «مسـرة». وهذِه المحَاجر هىَ جزءٌ من جبَال المقطمِ المعروفةِ بحجرِها الجيرىِّ الممتازُ.

ويشـرحُ «شـامبليون» تجرِبتَه فى زيارةِ منْـف قَائـلاً: «... امتطيْنا الحميرَ للذهاب إلى قريةِ البدْرشـين... كتـلُ الجرَانيت متناثرةٌ هنَا وهنالكَ والتى تبدُو منْ كلِّ النوَّاحى منْ خلالِ الرِّمال التى تغمرُها شـيئاً فشيئاً، تشهدُ جيداً بفخامةِ عمَائر تلكَ العاصمةِ». ثم يذكرُ تمثالَ رمسـيس الثَّانى العملاقَ قائلاً: «وقد عثرنَا بينَ قريتىْ «البدرشين» و «ميت رهينة» علَى التمثالِ الضَّخم الذى اكتشفَه السيدُ «كافجليا»... وكانَ هذَا التمثالُ الرائعُ من الحجرِ الجيرىِّ المتبلورِ الجميلِ والذى قمتُ برسمِ رأسِه وتفاصيلِه بعنايةٍ، كانَ يمثلُ رمسيسَ الأكبرَ». كما يرقدُ التمثالُ

علَى وجههِ وقدْ فقدَ القدمينِ وجزءاً من السَّاقين». ثم ذكرَ أن ارتفاعَ التمثالِ هو ٣٤,٥٠ قدم.

وأخيراً، نقولُ إنَّ منف وآثارَها لم يتمْ اكتشافها كلُّها بعدُ، فمنَ المؤكدِ أن الكثيرَ من الأســرارِ ما زالتْ مدفونةً تحتَ رمالِ منــف، وهيَ فى انتظارِ أناملَ المنقبينَ المصريينَ المخلصينَ لإخراجِها إلىَ النورِ.



| | |
|---|---|
| رقم الإيداع | ٢٠١٣/ ٢٧٤٦ |
| الترقيم الدولى | ISBN 978-977-02-7702-7 |

٧/ ٢٠١٠/ ٧

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)




لمن يعشق التاريخ والبحث والترحال، دون تكلفة أو عناء سفر.. هذه فرصة ذهبية نضع فيها العالم بين يديك؛ لتمتع نظرك بصور ساحرة عن مدن هى نجوم وكواكب تدور فى فلك الحضارات، بما لها من تميُّز تاريخى أوجغرافى أو إنجازات حضارية تملأ النفس بسنابل من المعارف لا تجف.

صدر منها :

1- مدينة الأقصر .. مقر الشمس

2- منف .. مدينة الأوائل

3- تانيس.. مدينة من الماضى

4- كارانيس .. مدينة الأطلال الفريدة

